

العجائب من تجديد الخطاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد،

فقد ثبت عن النبي ﷺ قوله "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا"^(١)

وتناول العلماء معنى التجديد المقصود في الحديث،

قال البيهقي في المعرفة: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، سَمِعْتُ أَصْحَابَنَا يَقُولُونَ: كَانَ مِنَ الْمِائَةِ

الْأُولَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ. وَفِي الْمِائَةِ الثَّانِيَةِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ.

وَرُوِينَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ أَنَّهُ قَالَ: فَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ. وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ

الشَّافِعِيُّ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْآخَرَى

ثم ساق بإسناده عن محمد بن الوليد قال: سَمِعْتُ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ لِأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ

سُرَيْجٍ: أَبْشِرْ أَيُّهَا الْقَاضِي، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ بَعَثَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ، وَمَنْ عَلَى

الْمُسْلِمِينَ بِهِ، فَأَظْهَرَ كُلَّ سُنَّةٍ، وَأَمَاتَ كُلَّ بَدْعَةٍ وَمَنْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى رَأْسِ الْمِائَتَيْنِ بِالشَّافِعِيِّ

حَتَّى أَظْهَرَ السُّنَّةَ وَأَمَاتَ الْبَدْعَةَ، وَمَنْ عَلَى رَأْسِ الثَّلَاثِيَّاتِ بِكَ حَتَّى قَوَّيْتَ كُلَّ سُنَّةٍ وَصَعَّفْتَ

كُلَّ بَدْعَةٍ.^(٢)

وقال الحافظ: لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ فِي رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ وَاحِدٌ فَقَطْ بَلْ يَكُونُ الْأَمْرُ فِيهِ كَمَا ذَكَرَ فِي

الطَّائِفَةِ وَهُوَ مُتَّجِهٌ فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجِ إِلَى تَجْدِيدِهَا لَا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَلَا يَلْزَمُ

(١) أبو داود "٤٢٩١" وصححه الألباني في الصحيحة "٥٩٩"

(٢) المعرفة "٢٠٨/١"

أَنَّ جَمِيعَ حِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنْ يُدْعَى ذَلِكَ فِي عُمَرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَإِنَّهُ كَانَ الْقَائِمَ بِالْأَمْرِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ الْأُولَى بِاتِّصَافِهِ بِجَمِيعِ صِفَاتِ الْخَيْرِ وَتَقَدُّمِهِ فِيهَا وَمِنْ ثَمَّ أُطْلِقَ أَحْمَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ عَلَيْهِ وَأَمَّا مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ فَالشَّافِعِيُّ وَإِنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ الْقَائِمَ بِأَمْرِ الْجِهَادِ وَالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ فَعَلَى هَذَا كُلِّ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ رَأْسِ الْمِائَةِ هُوَ الْمُرَادُ سِوَاءَ تَعَدُّدِ أَمْ لَا^(٣)

وقال القاري " أي: يبينُ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ وَيُكثِرُ الْعِلْمَ وَيُعزِّزُ أَهْلَهُ وَيَقْمَعُ الْبِدْعَةَ وَيَكْسِرُ أَهْلَهَا.

هذا هو مفهوم التجديد كما جاء في الحديث فهو دعوة المصلحين وسبيل المخلصين وأداة لحفظ الدين، أما ما نراه اليوم من استعمال اصطلاح التجديد للخطاب الديني في غير موضعه الصحيح، فيطلق ويراد به انحراف الخطاب الديني عن مساره الوسطي الصحيح إلى مسار متطرف عن المقصود، فيكون المقصود تجديد الدين وليس الخطاب وهذا فحوى الكلام والمراد منه، فإن كان قصد الكلام على أسلوب الخطاب بما يتناسب مع المدعو فالأمر هين، ولكن للأسف يراد بهذا العنوان إحداث التغيير في ثوابت الدين وأصول الفهم فيه فالكلام ليس على الطريقة والأسلوب وإنما على المحتوى والمضمون ولهذا محاذير خطيرة منها:

- ١- إخضاع الدين لعقول العابثين ليغيروا فيه ما شاءوا فما وافق هواهم قبلوه وما صادمه ردوه
 - ٢- قطع الصلة عن تراث علماء الأمة وبتر كل الجهود السابقة لخدمة هذا الدين
 - ٣- جعل المصالح الموهومة دليلا مستقلا لا تعلق له بالنص فحيث ظنوا وجود المصالح ذهبوا إليها
- وإن ردها النص الثابت

(٣) فتح الباري ١٣/٢٩٥.

٤- ترسيخ مبدأ تاريخية التشريع بمعنى أنه نزل لزمان وقد تغير الزمان فلا بد من تغيير التشريع ليتناسب مع الواقع

٥- وبناء على هذا فتحوا باب الرخص والتيسيرات المصادمة لأدلة الكتاب والسنة

وهذا هو التفريط بعينه والرخص لا تناط بالمعاصي

إن هؤلاء حري أن يقال عليهم مخربون للدين لا كثر الله منهم، فالدين كامل تمام لا يحتاج منا غير الاتباع ومن ادعى عدم صلاحيته للزمان فهو مفتر عديم الإيمان.

إننا بحاجة إلى تجديد ولكن ليس للدين وإنما لخطيب الدين، هذا الخطيب إن تحول إلى موظف وليس داع إلى الهدى فلم ينشط لتعلم الدين والعمل بسنن المرسلين ولم يعبأ بأمراض المسلمين وانحرفهم عن التمسك باليقين، وكان في واد والناس في آخر فلم يضع كلمة الحق في موضعها فخان الأمانة وأضاع العزة وموضع التمكين، ودعا إلى البدعة ومنازمة السنة وحض على الوعد وأهمل الوعيد ومال عن الحق لأي تهديد

فمثل هؤلاء لا بد معهم من إحلال وتجديد فهم عبء ونكد والدعوة منهم في تأخر وتبديد والله من ورائهم محيط

فألهم احفظ لنا ديننا الذي به قوامنا واهدنا واهد بنا واجعلنا سبباً لمن اهتدى

وصللي اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه

أحمد بن سليمان